(جيورجيو دي كيريكو .. فارس الدادية والسيريالية)

(١٨٨٨ - ١٩٧٨)

G. de Chirico

جـــدار يشـــي بـجـــدار آخـــر
والظل يحميني مـــن ظلـــي المرتجـف
يـــا بـــرج حبـــي حـــول حبـــي
كل الجدران تتعاقب بيضاء حول صمتي

* * *

أنـــت عمـــا كـــنـت تـدافـعـيـن ؟
أيـتـهـا الـسـحـب الجـامـدة النقيـة !
كنت تأوينني وأنت مرتعدة .. والضوء ساطع
ونجـوم النهـار بيـن الأوراق الخضـــر

* * *

obeikandl.com

ذكرى من كانوا يتحدثون دون أن يعلموا
ســـــادة ضـــعفـــي ، وأنـــا مثـــلـــهـــم
بعيون الحب ، وأيد غاية في الإخـــلاص
لإخـــلاء عـــالـــم أنـــا عنـــه غـــائـــب

* * * * *

جيورجيو دي كيريكو ولد بمدينة جريس الإيطالية عام ١٨٨٨ لأب إيطالي يعمل مهندسا للسكك الحديدية .. طرق عالم الفنون التشكيلية من أوسع أبوابه ، فقد التحق بأكاديمية الفنون بأثينا ثم بميونيخ وتأثر بيوكلين.. تعلم الفنون الكلاسيكية والحديثة ثم مارس التصوير دارسا وهاويا ، مارا بكل المذاهب والمدارس والاتجاهات والأساليب . أقام أول معرض له في روما، بعدهـــا هاجر إلى باريس ليبدأ حياته الفنية العملية من عام ١٩١١ إلى عام ١٩١٥ مناصرا للسيريالية متزعما حركتها في الجناح الإيطالي بعد عودته إلى وطنه .. وقد عبر عن هذا الانتماء هو ومجموعة الفنانين الإيطاليين ومنهم كارلوكارا وموراندي في بيئاتهم السيريالية التي بعثوا بها إلى " بريتون " عام ١٩١٧ .

وفي باريس تعرف كيزيكو على بيكاسو وعدد من الفنانين الذين أجمعوا على أنه أكثر الفنانين تطورا في عصره .. وفي باريس أيضا عثر كيريكو على أسلوبه الخاص الذي اتخذ من الأحلام مادة ورؤية لفنه الجديد المبتكر .

لذلك يعد كيريكو هو الواضع الحقيقي لأسس المذهب السيريالي وواحدا من رواد السيريالية الأوائل وأكثرهم تأثيرا على سلفادور ودالى نفسه .. ولعل البورتريه الذي رسمه لنفسه عام ١٩٠٨ ، لعله كان الطلقـــة الأولى

في سباق السيريالية التي نضجت وانتشرت على يدي بيكاســو بعد ذلك بعشر سنوات كاملة .. ومن هنا أصبح كيريكو من أشهر السيرياليين .

دعى كيريكو لعرض أعماله السيريالية في باريس عام ١٩٠٢ ولكنه عاد في عام ١٩٣٠ إلى تتبع خطى الأقدمين أو ما أسماهم "المعلمين القدامي".

بعد أن قرر هجرة " الفن الحديث " الذي يسير في طريق مسدود وبرؤية ضبابية ومجهولة ، من وجهة نظره ، عنــى بالآثار الرومانية وشغل بتصوير الصحراء الشاسعة والقلاع الحصينة والأبراج العالية واقترب من "فن الديكور التصويــري" " وانخرط في النحت وتصميم الحلى .. ولهذا اعتبر كيريكو مرتدا عن الزمن المعاصر خارجا على روح العصر ..

وقد علل النقاد موقف كيريكو المرتد الغريب والمفاجئ بعدم النجاح في الوصول إلى قمة عالية من قمم الفن الحديث عامة والسيريالية على وجه الخصوص .. وفسر هؤلاء النقاد لجوء كيريكو إلى الصحراء بدافع نفسي للهروب من المدينة والمدنية . كما فسروا هروبه إلى القلاع كوسيلة نفسية للاحتماء داخل تحصيناتها من مطاردة الفن الحديث ومغرياتــه ، أما صعوده إلى قمم الأبراج .. فتعويض نفسي عن عدم تمكنه من الصعود إلى قمم الفن المجهول كما يحب أن يسميه ويصفه .. كان كيريكو يهتم بالبناء ، سواء بناء اللوحة أو البناء داخل اللوحة ، وكان يضفي على المكان جوا من الحزن والألم يكشف عن تشاؤمه ويدعو إلى التوتر والقلق .

كان كيريكو قد تمكن خلال الفترة من عام ١٩٠٨ إلى عام ١٩١٧ من تقديم بعض الصور الفريدة في الفن الحديث .. ففي الصورة الكبرى والصور الأخرى التي تمثل البلاد الإيطالية المهجورة ، يحس المتلقي أن كل شئ

يحملق نحوه ، التماثيل والمداخن التي تتميز باللون الأخضر والشخوص الغريبة .

في هذه الفترة تمكن أيضا من توحيد نماذج البسكويت وورق اللعب في شكل معماري مستخدما البيوت المتحركة والأسرة والمقاعد وقد سقط عليها ضوء النهار الساطع ..

أما في عام ١٩٢٦ فقد اتجه بصوره اتجاها زخرفيا ربط بين النزعتين الدادية والسيرياليـــة ، فوجه الأنظار إلى غموض العالم المحيط بنا وبعده عن الحقيقة والمألوف .

وقد جاء في قاموس الفنانين أن كيركو عاش ممزقا في صراع بين المذاهب الفكرية المتنوعة وبين التجارب التكنيكية الخالية من الفكر ..

أما هو فقد وصف نفسه بأنه " حالة فريدة " فلا هو روسو ولا هو السيريالي الأول وإنما هو المصور الميتافيزيقي كما أحب أن يطلق على نفسه .

وقد أصدر عام ١٩٢٩ كتابا مثيرا يتميز بالأسلوب التهكمي الساخر يحلل فيه مغامراته ، الفنية والذهنية ..

قال عنه جيوم أبوللينير وهو يكتشف لوحاته " هذا هو الفنان الأكثر حساسية في هذا العصر " ..

أما فكرة التصوير الميتافيزيقي فقد عبر عنها في لوحته " لوحة داخل اللوحة " التي رسمها عام ١٩١٧ ، وتبعها بلوحة أخرى أسماها " الميتافيزيقا الكبرى " .

obeikandl.com

ومن أشهر لوحاته " هيكتور وأندروماك " و " الابن العاق " و" غموض وأحزان شارع " و" الجلادون " ..

وقد قام كيريكو بتصميم ديكورات لفرق الباليه السويدية وفرقة دياجيليف الشهيرة حوالي عام ١٩٢٩ ..

شارك كيريكو في العديد من المعارض السنوية " أنوويل " وتلك التي تقام كل عامين " بينال " وكل ثلاثة أعوام " ترينال " وكل أربعة أعوام "كوادرينال" .

وعن هذه المعارض يقول كيريكو : " إذا قورنت معارضي التي أقمتها منذ عام ١٩١٨ وحتى الآن فإن الملاحظ دائما هو التقدم الواضح والمتجه باستمرار نحو الأستاذية والتفرد .. " .

أما عن حياته والأحداث التي أثرت فيها وفي فنه فيقول :

" كانت رحلات صيد السمك متعة كبيرة لي ، ومن المؤكد أن كل هذه المناظـــر من الجمال التي شاهدتها في اليونان وأنا صبي ، والتي كانت أجمل ما رأيت في حياتي كلها ، قد تركت في نفسي أثرا عميقا وظلت منبطعة بقوة في ذهني وأفكاري .. لقد ألهمت اليونان كثيرا من الفنانين في جميع الأزمنة ولكن هناك أشياء جميلة إلى حد لا يمكن معه للمرء إلا أن يتخيلهـــا فحسب .. إن هناك جانبا كبيرا من الصدق فيما قاله نيقولاس نيميس رسام القرن التاسع عشر اليوناني (لست أستطيع أن أرسم اليونان جميلة كم أتخيلها) ..

ويقول كيريكو : " رأيت المعرض الأول الذي تأثرت به إلى أقصى حد وظللت مأخوذا به بعمق .. ومن بين اللوحات التي أثرت في تأثيرا خاصا ،

obeikandl.com

لوحة تمثل قصة من الحرب اليونانية التركية ، فبالقرب مـن منزل قديم فقير المظهر كانت هناك فصيلة من المشاة ، مع بعض الضباط على ظهور الخيل تبدو كما لو كانت في لحظة انتظار الهجوم ، وعلى مرمى البصر كانت تبدو المعركة .. وكان هناك صف طويل من جنود المشاة ، بعضهم يقف على ركبة واحدة على الأرض والبعض راقد تماما، وهم يطلقون النار،وعلى اليمين ترى فصيلة من الفرسان تعدو في طريق واسع مترب ، وفي المقدمة يرى جسد جندي قتيل يرقد في تراب الطريق .. والرسام صاحب هذه اللوحة اسمه (رويلز) وقد كان أستاذي في مدرسـة البوليتكنيك.. كان متخصصا في الموضوعات العسكرية ، كـان موهوبا ، ولو كان قد عاش في باريس أو روما لحقق شهرة واسعة .. أما الفنان الآخر الذي أثر في كثيرا فكان يدعى (راليز) وكانت موضوعاته مشاهد شرقية زاهية الألوان ومليئة بالحيوية ، وكانت مقدراته على التصميم دقيقة جداً .

رويلز ، راليز ، رفاييل ، روبنز ، كوكتو ، بربتون ، بوكلان ، رينوار، دولاكورا ، بيكاسو ، دالي ، دوران ، أبوللينير .. أسماء لها معنى في حياة وأعمال كيريكو ، منهم من تأثر بهم ومنهم من تأثروا به ، ومنهم من أعجبوا به وبفنه ومنهم من أعجب بهم وبفنهم ..

إلى هؤلاء تضاف أسماء ثلاثة تبدأ ببول وهم بول فاليري وبول كلوديل وبول أيلوار ..

أما كيريكو فقد كان يرى أنه رغم اقترابه من كل منهم واقتراب كل منهم منه ، إلا أنه القرب الذي يشبه بعد روما عن بكين ..

وعلى الرغم من كل ما قيل عن فن كيريكو تشكيكا فيه وتقليلا من شأنه إلا أنه عرض كل أعماله الكلاسيكية في روما ولندن وشيكاغو ونيويورك وباريس فلاقت نجاحا كبيرا ، وضع النقاد أنفسهم في حيرة شديدة من أمر كيريكو وأمر الفن وأمر جمهور الفن جميعا ..

ورحل كيريكو عن عالمنا عام ١٩٧٨ .. وبعد رحيله ظلت زوجته ليزا الروسية الأصل محافظة على لوحاته وثرواته وعادت إلى بيتها العتيق في روما لتعيش حياة لا تعرف الهدوء ولا الاستمتاع بالثروة الطائلة التي تضم اللوحات والتماثيل والحلى التي لم يكن كيريكو يعرضها أو يبيعها مما رفع قيمتها المادية والفنية معا .. ولكن ليزا استطاعت أن تؤكد هذا القول المأثور: " ليس معنى أن يموت الفنان أن يموت فنه ! " .

obeikandl.com